هروب الأبناء من البيت العائلي والبحث عن الهوية

د: فتيحة كركوش
جامعة سعد دحلب–البليدة

ملخص المداخلة:

من خلال نتائج الدراسة الميدانية التي تناولنا فيها "المحددات النفسية والاجتماعية لظاهرة هروب الأبناء من البيت العائلي" ، بدا لنا جليا أن التغيـــرات الاجتماعيـــة التـــي تخضع لها المجتمعات تؤثر بطريقة وثيقة على قيم الشباب وتصوراتهم نحـــو العلاقـــات وتحديدا نحو الأسرة، والتي تُشّكل في النهاية هويتهم.

هذه الهوية إذا لم يتم احتوائها من طرف الأولياء وبلورتها بالشكل الايجـــابي قـــد تتكوّن خارج الأطر المقبولة، ولعل هروب هؤلاء الأبناء من بيوتهم يُعبّر عن فشـــل فـــي عملية التنشئة الأسرية وعملية جديدة للبحث عن المفقود.

ومن هذه الزاوية، تسعى الباحثة إلى تحليل الميكانيزمات القاعدية التي ساهمت في تطوير سلوك الهروب لدى الأبناء من أوساطهم الأسرية في ظل عملية البحث عن الذات والهوية.

كلمات مفتاح: الهروب من البيت العائلي، التنشئة الاجتماعية، الهوية.

1. إشكالية الدراسة:

لا ينسلخ الهروب عن إطار التّغير الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع والذي تتأثر به الأسرة باعتبارها نسق فرعي لهذا الكل، بل يجب النّظر إلى سلوك الهروب مـــن البيـــت العائلي من زاوية شاملة تمس كل ما توصل إليه المجتمع من تطّور وتحوّل في بنياته وفي قيّمه وطريقة معيشته حتى يتسنى فهم هذه المشكلة من الناحية النفسية والأسرية، بحيث أن الأسرة تخضع لا محالة لديناميكية تّغير المجتمع على مستواه المادي والمعنوي على حـــد السّواء على أساس أن الأسرة مثلها مثل أي ظاهرة اجتماعية داخل المجتمع تكون مُتغيرة لا تثبت على حال واحد.

ومن جهته، يشعر المراهق –بحكم مجموع التغيـــرات النمائيـــة المختلفـــة التـــي يعيشها– بحاجة ماسة إلى **البحث عن مكانة** له خاصة في ظل هذه التحولات المزدوجـــة الأبعاد: على المستوى الاجتماعي وعلى المستوى الشخصي، وقد يكون سلوك الهـــروب من البيت وسيلة من بين الوسائل المختلفة التي يبحث من خلالها المراهق عن ذاته وهويته خاصة في غياب أدوار مقنعة يقوم بها، وقد اعتبر لـــورد (Lord, 1984) أن الهـــروب غالبا ما ارتبط بهشاشة الأسرة وبعجز المجتمع على إشباع حاجات المراهقين بـــاختلاف جنسهم.

ويُدعم ماركت (Market, 1979) هذه الفكرة وذلك بالرجوع إلـــى الســـيرورة التاريخية التي دُرسّت في سياقها مشكلة الهروب من البيت، حيث نجد بأن العديـــد مـــن الحركات الشبابية في الولايات المتحدة الأمريكية برزت في أواخر الستينات مُتمردة على القيم التقليدية السائدة آنذاك، ومتبنية ثقافات فرعية ونمطا حياتيا جديدا قائما على ممارسة الحريات الشخصية ومناديا باعتراف المجتمع بهوياتهم وقيمهم الجديدة.

ويمتد تأثير هذه الاختلافات بين الأجيال إلى إفراز أشكال كثيرة من عدم الالتـــزام إزاء القيم الاجتماعية المتفق عليها لدرجة يمكن أن تولد حالة من القطيعة بـــين الأســـرة والمجتمع، والهروب على حد تعبير برينان (Brennan, 1978) يجسّد هذه القطيعة.

وكان محمود حسن (1981) أشار إلى أن المراهق في هذه الحالة يجـــد نفســـه حائرا في متاهات المعايير المتناقضة مما يعرضه لأن يسلك سلوكات شاذة لأنه لا يعرف أين الطريق.وإذا نظرنا إلى الأسرة، فإننا نعتبرها بلا شك نسقا إنسانيا اجتماعيا فهي أقرب إلى أن تكون نسقا منفتحا، وأكد علاء الدين كفافي (1999، ص115) ذلـــك بقولـــه:" أن

الأسرة لا تستطيع أن تكون منغلقة انغلاقا كاملا لأنها تكون منتمية إلى نسق أكبـــر آخـــر يتضمنها ويستوعبها، ولابد أن تتفاعل مع هذا النسق الأكبر بطريقة ما".

وقد ربط دوفيل (Douville ,1994) هذه التغيرات بعملية التّنشـــئة الاجتماعيـــة للمراهقين الذين لا تُعطى لهم فضاءات لممارسة حريتهم وتحقيق مكانتهم، وهذا ما يفـــتح المجال بشكل أوسع لممارسات غير مرغوب فيها (مثل الهروب من البيت وغيـــره مـــن السلوكات المنحرفة).

ومن ثمة، أوضح موسى أبو حوسة (2001) أنه يحدث أحيانا أن تبرز صعوبات تعوق عملية التفاهم أو القيام بالأدوار سواء من داخل جماعة الأسرة أو من خارجها.وفي مثل هذه المواقف قد ينشأ صراع مؤقت بين توقعات أعضاء الأسرة المختلفـــين، أمـــا إذا اتخذ هذا الصراع صفة الاستمرارية فقد يُؤثر في وحدة الأسرة ككل.وكـــذلك يمكـــن أن تؤدي التغيرات الاجتماعية التي تطرأ على المجتمع الذي تعتبر الأسرة جزءا منه إلى تغيّر بناء الأسرة، وهذا من شأنه أن يؤثر على الأبناء بصفة مباشـــرة خاصـــة فـــي مرحلـــة المراهقة.

ونجد كل من جوستيس ودانكن (Justice & Dancan, 1976) قد ربطا الهروب بمفهومي "عدم الالتزام وعدم التعلق"، حيث أكدا أن الأبناء الهاربين يفتقدون إلى التعلـــق العاطفي بأوليائهم (بسبب وجود أزمات عائلية ومعـــاملات أســـرية قاســـية) ويشـــعرون بالقطيعة التي تدفعهم إلى عدم احترام القيم الاجتماعية المتفق عليها.

وهي نفس الفكرة التي توصل إليها كوسلن (Coslin, 2003) معتبرا الهروب من البيـــت نوعا من القطيعة يسلكه المراهق ضد محيطه؛ فليس بالضرورة أن يكون سيرة مَرضـــية، إنما هو عملية بحث عن هوية اجتماعية يسعى من خلالها للاعتراف به.ويضـــيف لـــورد (Lord, 1984) أن الهروب هو تعبير صريح عن رغبة المراهقين الشديدة فـــي اختيـــار نشاطات مختلفة عن ممارساتهم الروتينية المألوفة وعن عملية **بحث عن هُوية** خاصة بهم.

وعلى هذا الأساس، تطرح مسألة التّوافق والتّكيف كإشكالية محورية بحيث يكون الأبناء الهاربون غالبا مراهقين بصدد بناء خبرات حياتية للوصول إلى النّضـــج النّفســـي والاجتماعي وإلى تنمية علاقات بين أقرانهم وبين المجتمع ككل، لأن فترة المراهقة تعـــد أكثر مراحل العمر تأثرا بالتّغيرات الاجتماعية السّريعة، حيث تعمل سلسلة التّغيرات التي يعيشها المراهق باختلاف جنسه على وضعه في موقع يشعره بأن المجتمع الذي ينتمي إليه والعائلة التي نشأ فيها لا تمنحه التّوجيه الملائم للاختيار السليم، إذ يمكن اعتبار ذلك نتيجة

لتّغير نمط البناء الخاص بالمعايير وغموض الأدوار بخصوص مكانة المراهــق وســط مجتمع في حالة تغير وفي فترة انتقالية أيضا (وهو الوضع التي تعيشه الجزائر).وبالتالي، يظهر سلوك الهروب كمحاولة طبيعية يقوم بها المراهق لحل هذه الأزمة ونوع من العجز على تحقيق إشباع حاجاته الجديدة (كتحقيق الذات والبحث عن الانتمــاء والحاجــة إلــى الاستقلالية والرغبة في توسيع فضاءهم الاجتماعي)؛ فهو يشعر بالحاجة إلى أن يعيد **بناء صورة ذاته** وجسمه، والى إعادة النظر في علاقاته مع والديه وعالم الراشــدين والــذي يُترجم أيضا رغبته الشديدة في الاستقلالية والتّحرر.

وأكدت سامية جابر (2001) فكرة جوهرية يمكن توظيفها لفهم هــذه الإشــكالية تكمن في مفهوم التّصور الذاتي (الذي يمثل محورا أساسيا من محاور نظريــات الثقافــة الفرعية بالإضافة إلى مفهوم التفاعل الرمزي)، فعندما يفشل المراهق في تكوين تصــور ملائم عن ذاته في إطار الثقافة العامة السائدة في المجتمع، فانه ينتمي إلى ثقافــة أخــرى تعطيه المبادئ اللازمة لبناء فكرة ذاتية ترضيه.

ويُفهم من ذلك أن المراهق الهارب يشعر رفقة أقرانه أنه إنسان مقبول تمكّن مــن تحقيق أهداف هامة كالانتماء والمشاركة الفعالة، وأنه عضو لديه القدرة على الخضــوع لمعايير الجماعة وهذا ما يحقق لديه الإحساس بالأمن والثقة في الذات.

لذلك، اعتبر كفلدت (Kufeldt , 1991) أن الدافع الأساسي الذي يحث الكثير من الأبناء على الهروب من البيت يكمن في شعورهم بالوحدة والبحث عن فعالية الذات وعن إيجاد معنى لوجودهم.وكانت دراسة سابقة أجراها أدامس وآخرون (Adams & , 1985 al) توصلت إلى أن الهاربين غالبا ما يدركون ذواتهم بأنها فاشلة ويشعرون بأنهم عــدمي المنفعة ولا يحسنون تسيير مختلف الضغوطات التي يختبرونها بسبب استراتيجياتهم فــي المواجهة الضعيفة.

وبناء على هذا التصور، نطرح السؤال التالي: إلى أي مــدى يمكــن أن تــؤثر العوامل النفسية (من تقدير الذات واستراتيجيات المواجهة) والعوامل الأسرية (من تفكــك أسري ومعاملات والدية) في تشكيل هُوية الهاربات؟.

2. صياغة الفرضيات:

1.2. تتحدد هوية الهاربات من خلال وجود حالات من التفكك الأسري المادي.

2.2. تتحدد هوية الهاربات من خلال وجود حالات من التفكك الأسري المعنوي.

3.2. تتحدد هوية الهاربات من خلال ما يمارسه الوالدان من معاملات تربوية غيـــر ملائمة.

4.2. تتميز الهاربات بدرجات منخفضة من تقدير الذات.

5.2. تميل الهاربات إلى تبني استراتيجيات مواجهة مبنية على الانفعال.

3. تحديد المفاهيم:

من المهم أن نوضّح المفاهيم الواردة في هذه الدراسة سعيا للوضوح والتبســيط، ولعل أهمها مفهوم الهروب من البيت ومفهوم الهُوية.

1.3. الهروب من البيت العائلي: اهتم علماء الاجتماع بـــالهروب مـــن البيـــت العـــائلي واعتبروه سلوكا يتخذه الهارب للفرار من مشكلة معينة أو أنـــه يعبّـــر عـــن وضـــعيات صراعية؛ ومعنى ذلك أن الهارب يغادر المكان الذي من المفروض أن يكون فيه ليـــذهب للتّسكع في الشوارع لمدة ساعات أو إلى الأماكن المُفضلة لديه كوسيلة منـــه لحـــل تلـــك المشكلات والصراعات.

وأشار عاطف غيث (1984) إلى أن الهروب غالبا ما اعتُبر نوعا مـــن النّشـــاط المنحرف بسبب انعكاساته السلبية، حيث صُنّف ضمن مختلف الأنشطة الانحرافية المتعددة الأشكال التي يمارسها بعض الأطفال والمراهقون، وأضاف أن الهروب يعـــد ميكانيزمـــا دفاعيا يحاول الهارب من خلاله أن يتوافق مع المواقف المحبطة عن طريـــق تحاشـــيها وعدم مشاركته الايجابية في أنشطة الجماعة أو بإبداء اتجاهات غير تعاونية، ويمكـــن أن تشمل صُور الهروب تفادي كل أنواع التفاعل الاجتماعي، على أن الهروب قد يكون أيضا نهائيا، وقد يكون مخططا له أو غير مخطط له.

ويُمثل الهروب في نظر ميكييلي (Muchielli , 1988) رد فعـــل ســـيكولوجي يهدف المراهق من وراءه إلى وضع مسافة بينه وبين حالة الضغط الذاتي أو العلائقي التي يعيشها.وهو نفس الاتجاه الذي كان قد قدمه روبـــي (Roubier, 1984)، حيـــث اعتبـــر الهروب انتقالا إلى السلوك الحركي الذي يُعبّر عن تجربة أساسية مُحرِرة تعمـــل علـــى تقليص الضغط الذي يعاني منه المراهق في البيت.

وعليه، تبنت هذه الدراسة مفهوم الهروب على أساس أنه فرار من البيت العـــائلي دون ترخيص من الأولياء (أو النائبين عنهما) وقضاء الهاربة على الأقل ليلة واحدة خارج البيت العائلي بغض النظر عن عواقبه.

2.3.الهُوية: يُعرِّف المُعْجَمُ الوسيطُ الصادر عن مَجْمَعِ اللُّغة العربية "**الهُوِيَّـــةَ**"، فلســـفياً، بأنها: **حقيقة الشَّيء أو الشَّخص التي تميزه عن غيره.** ويذهب المُعْجَمُ إلى تحديد **معنـــى آخر للهويَّة** حين تُضاف إلى الكلمة "**بطاقة**"، أو تُوصف بالنَّعـــت "**الشَّخصـــية**"، لتجعلنـــا نحصل على المصطلح "**بطاقة الهُويَّة**" أو "**البطاقة الشَّخصية**"، المُتَدَاوَلين حديثاً، فيذكرُ أنَّ "**الهُوِيَّةَ بطاقة يثبتُ فيها اسمُ الشَّخص وجنسيتهُ ومولدهُ وعمله**"**(المعجم الوسيط).**

ومن ثمة، يُفهم أنَّ **قراءة الهوية** ليست مجرَّد عملية تنتمي إلى ترفٍ فكريٍّ زائـــد عن الحاجة، وإنما هي نشاطٌ إنسانيٌّ ضروري ينبغي له أن يكون دؤوباً كي يُســـهم فـــي تجديد الهوية والارتقاء بها والإعلاء من شأنها وطرح الأسئلة مثل: من أنا؟ وكيف صرتُ على ما أنا عليه؟ ما هي العناصر التي تُشكِّل هُويتي؟ ما ثابتها وما متحولها؟ وعلـــى أي محور ثابت تحدث تحولاتها؟ وكيف يُمكن لمنظومة **القيم المطلقة** التي تشكِّل عناصر ثابتة في هويتي أن تترجم إلى **تصرفات وأفعال وأنماط سلوك؟** إلى برامج عمل تعالج مشكلاتي الوجودية (الوطنية والإنسانية والحياتية اليومية) ووقائع تستجيب لضرورات وإشـــكاليات وجودي، وشروط واقعي، وطموحي الإنساني الهادف إلى توسيع مدار حريتي؟.

وبهذا المعنى، فإنَّ الهوية ليست مطلقاً يسبح في فضاءٍ بلا هُوية، وإنما هـــي ذاتٌ إنسانية، **فردية أو جماعية**، ومن ثمة أشار إبراهيم أبراشي(2003) في تعريفـــه للهويـــة حسب علم الاجتماع السياسي إلى "أن "الهوية هي مجموعة من الخصائص التـــي يمكـــن للفرد عن طريقها أن يعّرف نفسه في علاقته بالجماعة التي ينتمي لها والتي تميّـــزه عـــن الأفراد المنتمين للجماعات الأخرى، هذه الخصائص أو المميزات لا تكون صدفة أو بقرار في لحظة تاريخية؛ بل تتجمع عناصرها وتطبع الجماعة بطابعها"

وعلى هذا الأساس، تعاملنا مع مفهوم الهُوية باعتباره نابع من الجماعـــة الأوليـــة (الأسرة) التي تُزود الهاربة بقيم المجتمع وتعمل على بناءه وكذلك من خلال الصراع الذي تعيشه داخل وضعيات التفاعل الاجتماعي المختلفة، والذي يعمل على تشـــكيل الصـــورة الذاتية التي تُكوّنها عن نفسها داخل مجموعة انتمائها.

4.الخطوات المنهجية:

يشمل هذا العنصر كل من المنهج المتبع في الدراســة وأدوات البحــث ومكــان وعينة البحث، نوردها على النحو التالي:

1.4. المنهج المتبع:

تصب هذه الدراسة في سياق الدراسات النفسية الاجتماعية، وبـــما أن المــنهج يتحدد تبعا لطبيعة الموضوع، فإن المنهج الوصفي التحليلي يتناسب مع طبيعة الموضــوع وأهداف هذه الدراسة.

ويعتبر هذا المنهج تشخيص علمي قائم في أساسه على وصف الظاهرة بمختلــف جوانبها بحيث يعمل على تفسيرها وتقويمها، لذلك اعتبرته روبــرت (Robert, 1982) منهجا قادرا على إعطاء صورة واضحة عن الظــاهرة أو الوضــعية المــراد دراســتها والكشف عن عناصرها وأحيانا وصف العلاقات الموجودة بين تلك العناصر.

2.4. أدوات الدراسة:

– **الاستبيان:** تّم بناؤه من طرف الباحثة وعملت على التأكد من صدقه الظــاهري بعــد عرضه على 10 أساتذة موزّعين ما بين كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة البليــدة وكلية العلوم الإنسانية بجامعة الجزائر من تخصصات علم النفس وعلم الاجتماع، وهــو يحتوي على 07 محاور اكتفينا بتقديم محورين فقط لغرض هذه المداخلة، وهما:

– محور خاص بالتفكك الأسري المادي: شمل ستة عشر سؤال، تهدف هذه الأســئلة إلى معرفة وضعية أولياء الهاربات من حيث كونهما متزوجان ويعيشان معا، أو أنهما في وضعية تفكك أسري مادي (طلاق ووفاة أحد الوالدين أو كليهما وأســرة معــادة بزواج أحد الوالدين أو كليهما، إضافة إلى حالات الهجر).

– محور خاص بالتفكك الأسري النفسي: احتوى على أربعة عشر سؤال هدفت إلــى التّعرف على الأجواء الأسرية من حيث وجود السلوكات التي تدل على الاختلال في الأسرة مثل وجود السوابق الأسرية أو تعاطي المخدرات أو تناول المسكرات، وكــذا وجود أفراد من الأسرة يعانون من الإصابة بمرض ما.

– محور خاص بالمعاملة الوالدية(أو النائب عن الوالدين): احتوى هذا المحور علــى مقياس متكون من ستة عشر سؤال، وقد شملت هذه الأساليب خمسة أنــواع بحيــث خُصص لكل أسلوب عدد من الأسئلة، إذ ضم أسلوب عدم الرعاية وأسلوب التذبــذب

وأسلوب المفاضلة ثلاثة أسئلة على التوالي، بينما ضم أسلوب ضعف الاتصال اللفظي على خمسة أسئلة وشمل أسلوب العقاب الجسدي سؤالين.

– **سلم روزنبرغ لتقدير الذات:** وضع سلم روزنبرغ من طرف موريس روزنبـــرغ عام 1965، ويستخدم هذا السّلم مع الأفراد الذين تبلغ أعمارهم من عشرة سنوات إلى ما فوق (المراهقين والراشدين) ويتكون من 10 عبـــارات: خمســـة منهـــا ايجابيـــة (1.3.4.7.10) والخمسة الأخرى عبارات سلبية (2.5.6.8.9).

ويمكن تطبيقه بصورة جماعية أو فردية ولا يستغرق وقت تطبيقه أكثر مـــن عشـــرة دقائق.

ويتم تصحيحه وفقا إجابات المفحوص من موافق بشدة إلى غير موافق بشدة بحيـــث يكون تنقيط البنود الايجابية على النحو التالي:

– إذا كان الجواب "أوافق بشدة" = 04 نقاط.وإذا كان الجواب"أوافق"=03 نقاط.

– إذا كان الجواب "لا أوافق" = نقطتان.وإذا كان الجواب " لا أوافـــق بشـــدة" = 01 نقطة.

– **قائمة استراتيجيات مواجهة الوضعيات الضاغطة:** أعدت القائمة من طرف أنـــدلر وباركر (Endler & Parker) سنة 1990، وهي تسمح بقياس المظـــاهر المتعـــددة الأبعاد لاستراتيجيات المواجهة وتعمل على تقييم طريقة الأفراد في تسييرهم للمواقف الضاغطة.

وتتكون القائمة من ثلاثة مقاييس أساسية هي:

– إستراتيجية الأداء (Task): يصف المفحوص المجهودات التي يُوجهها نحو الأداء قصد حل المشكل وهيكلته على مستواه المعرفي، أو أن يحاول تغيير الموقف الضاغط الذي يختبره.

– إستراتيجية الانفعال (Emotion): تصف الاستجابات الانفعاليـــة التـــي يوجههـــا المفحوص قصد خفض حدة الضغط، وتحتوي هذه الاستجابات على الأفعال الانفعالية والاهتمامات الشخصية والميل نحو الخيال والأحلام.

– إستراتيجية التجنب (Adoivance): يصف النّشاطات والتّغيرات التي ترمي إلـــى تجنب الموقف الضاغط عن طريق الالتهاء بوضعيات أو نشاطات ما وكذا عن طريق التّنوع الاجتماعي.

3.4. مكان إجراء البحث:

تَم إجراء الدراسة في ثلاثة مراكز لإعادة التربية على مستوى ثلاثـــة ولايـــات، وذلك على أساس قدرتها الاستيعابية الكبيرة وهي على النحو الذي يظهر علـــى الجـــدول (01):

جدول (01): يمثل توزيع عينة البحث على مستوى مراكز إعادة التربية.

مـــراكز إعـــادة التـــربـــية	العدد	النسبة المئوية
مركز إعادة التربية بالجزائر	57	45.23
مركز إعادة التربية بالبليدة	39	30.95
مركز إعادة التربية بقسنطينة	30	23.80
المجموع	126	100

4.4. عينة البحث:

تتكوّن عينة البحث من 126 هاربة موزعات على مستوى ثلاثة مراكز (البليـــدة والجزائر وقسنطينة)، يتراوح سنّهن مـــن 11 إلـــى 19 ســـنة بمتوســـط عمـــر يقـــدّر بـــ16.31سنة، ويوضّح الجدول (02) توزيع سن الهاربات كما يلي:

الجدول (02): يمثل توزيع تكراري خاص بسن الأحداث الهاربات.

السن	التكرار	النسبة المئوية
11 –12سنة	02	01.58
13 –14سنة	11	08.73
15–16 سنة	30	23.80
17–18 سنة	66	52.38
19سنة	02	01.58
المجموع	126	100

5. نتائج الدراسة:

نعمل على تقديم نتائج الدراسة وفق ترتيب الفرضيات المصاغة وذلك على النحو التالي:

1.5. الهُوية من خلال المحددات الأسرية:

– التفكك الأسري المادي: سنعمل في البداية على عرض مؤشـــرات التفكـــك الأســـري المادي، حيث تمت معالجة هذا المتغير بالاعتماد على كاف تربيع للمقارنة بين التكرارات الملاحظة والتكرارات المتوقعة، إذ يبيّن الجدول (03) ذلك:

جدول (03): يمثل دلالة الفروق بين الوضعيات الأسرية عند عائلات الهاربات.

الوضعية الأسرية	التكرار الملاحظ	التكرار المتوقع	كا^2	دلالة إحصائية
عائلة غير مفككة	40	63.0	16.79	دال**
عائلة مفككة	86	63.0		

يظهر في الجدول (03) بأن معظم الهاربات تنحدر من أسر مفككـــة (فيهـــا إمـــا الأولياء مطلقين أو أحدهما متوفي أو في حالة هجر)، وقد جـــاءت قيمـــة كـــا^2 مُســـاوية لـــ16.79 وهي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة0.01؛ مما يعني بأن أغلبيـــة عـــائلات الهاربات تعاني فعلا من **التفكك الأسري المادي**.

– التفكك الأسري المعنوي: والذي يظهر من خلال السلوكات المختلة في الأسرة، حيـــث يقصد من وراءها مدى وجود السوابق العدلية وتعاطي المخدرات أو تناول المســـكرات، إضافة إلى معاناة الوالدين أو أحد أعضاء الأسرة من الإصابات المَرضية.

وتعد مثل هذه المعطيات مفيدة في حصر محيط الهاربات ومعرفة مدى وجـــود التفكـــك النفسي الذي يسود هذا المحيط، ويبيّن الجدول (04) ذلك:

جدول (04): يمثل دلالة الفروق بين السلوكات المختلة عند عائلات الهاربات.

سلوكات مختلة	التكرار الملاحظ	التكرار المتوقع	كا^2	الدلالة الإحصائية
لا توجد	39	63.0	18.28	دال**
توجد	87	63.0		

يوضح الجدول (04) بأن أغلبية عائلات الهاربات عرفوا حالات من الانحراف أو السلوكات المختلة بمختلف مظاهرها، حيث جاءت قيمة كا^2=18.28 وهي دالة إحصـــائيا عند مستوى الدلالة 0.01.

– المعاملة الوالدية: حددت المؤشرات الدالة على أساليب المعاملة الوالدية (أو النائب عن الوالدين) في أسلوب عدم الرعاية، التذبذب، المفاضلة، ضعف الاتصال اللفظي والعقاب البدني.ولمعرفة أساليب المعاملة الوالدية (أو النائب عن الوالدين) تّم الاعتماد على حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل أسلوب مُعتمد وذلك بناءا على المقيـــاس الذي تُم استخدامه لهذا الغرض مع استخراج الخصائص الإحصـــائية لهـــذه الأســـاليب، والجدول (05) يقدم نتائج هذه المتغيرات:

جدول (05): يمثل الخصائص الإحصائية لأساليب المعاملة الوالدية عند عائلات الهاربات.

الخصائص / الأساليب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أصغر قيمة	الوسيط	المنوال	أكبر قيمة
عدم الرعاية	12.34	4.38	06	12	12	24
التذبذب	13.46	4.68	06	13	12	24
المفاضلة	12.73	4.78	06	12	06	24
ضعف الاتصال اللفظي	19.42	6.63	10	19	10	40
عقاب بدني	09.45	3.61	04	09	10	16

وقد تّم استخدام اختبار فريدمان الذي يعمل على ترتيب تلك المعاملات، وكـــذلك تدعيمه باختبار كاف تربيع لمعرفة الدلالة الإحصائية للفرق بين الرتب، وهـــو مـــا يـــتم عرضه في الجدول (06):

جدول (06): يمثل اختبار فريدمان لمختلف أساليب المعاملة الوالدية.

الخصائص / الأساليب	متوسط الرتب	الرتبة	الدلالة الإحصائية للفرق بين الرتب	
			$كا^2$ للفرق بين الرتب	الدلالة الإحصائية
المفاضلة	3.10	1	1.34	دال**
عدم الرعاية	3.06	2		
ضعف الاتصال اللفظي	2.98	3		
العقاب البدني	2.94	4		
التذبذب	2.91	5		

يظهر من خلال الجدول (06) بأن معاملة أولياء الهاربات (النائب عن الوالـــدين) تميل إلى تبني الأسلوب التربوي القائم على **المفاضلة** والذي جاء متوسط رتبته بـــ3.10 بحيث احتل الصدارة من بين أساليب المعاملة الوالدية الأخرى، ثم علـــى أســـلوب عـــدم

الرعاية التي قدّر متوسط رتبته بـــ3.06 (الرتبة الثانية)، وبلغ متوسط رتبة أسلوب ضعف الاتصال اللفظي بـــ2.98، وأسلوب العقاب البدني الذي قُدر متوسط رتبته بـــ2.94 وجاء في الأخير متوسط رتبة أسلوب التذبذب بقيمة 2.91.

وتثبت هذه النتائج بأن الوالدين (أو النائب عنهما) يستعملان بصفة متنوعة مختلف هذه الأساليب في معاملاتهما للهاربات، وأنه لا يوجد تفضيل لأسلوب تربوي على الآخر بالرغم من أن أسلوب المعاملة الوالدية المُعتمد على المفاضلة رُتب في المقدمة.

2.5. الهُوية من خلال المحددات النفسية:

– استراتيجيات المواجهة: نعالج مدى استعمال الهاربات لاستراتيجيات المواجهـــة (الأداء والانفعال والتجنب)، حيث تّم ذلك عن طريق الاعتماد على اختبار فريدمان الذي أظهـــر تميزا دالا بين مختلف الاستراتيجيات، وهذا ما يعرضه الجدول (07): جدول (07): يمثل اختبار فريدمان لاستراتيجيات المواجهة عند الهاربات.

الخصائص / الاستراتيجيات	متوسط الرتب	الرتبة	الدلالة الإحصائية للفرق بين الرتب	
			$كا^2$ للفرق بين الرتب	دلالة الإحصائية
الانفعال	2.07	1	1.36	دال*
التجنب	1.98	2		
الأداء	1.05	3		

يبيّن الجدول (07) بأن متوسط رتبة إستراتيجية الانفعال قدّربـــ 02.07 وهو مـــا يجعل هذه الإستراتيجية مُرتّبة في الرتبة الأولى، ثم إستراتيجية التّجنب الذي بلغ متوســـط رتبتها 01.98، وجاءت إستراتيجية الأداء في مؤخرة الترتيب بمتوسط رتبته 01.05، وقد قُدرت قيمة $كا^2$ للفرق بين الرتب بـــ1.36 وهي دالة عند مستوى الدلالة0.01؛ وهو الأمر الذي يُعبّر عن قلة لجوء الهاربات إلى استراتيجيات الأداء وميلها نحو تبني اســـتراتيجيات التّجنب والانفعال في مواجهة المواقف الضاغطة وذلك بشكل ملحوظ.

– تقدير الذات: يعتبر تقدير الذات المحدد النفسي الثاني الذي نلمس من وراءه مؤشر هام من مؤشرات الهوية عند الهاربات، ونعرض الخصائص الإحصائية لتقدير الـــذات عنـــد عينة البحث وفق ما يعرضه الجدول (08):

جدول (08): يمثل الخصائص الإحصائية لتقدير الذات عند عينة البحث.

حجم العينة	المتوسط الحسابي	الخطأ المعياري للمتوسط	الوسيط	المنوال	أصغر قيمة	أكبر قيمة
126	13.88	0.32	13.50	10	10	23

يبيّن الجدول (08) أن متوسط الهاربات في درجات تقدير الذات قدّر بـــ13.88 درجة، وتعبّر هذه القيمة على مستوى منخفض من تقدير الذات بحيـــث جـــاءت تحـــت المتوسط الحسابي لسلم روزنبرغ لتقدير الذات.

ويقدّم الجدول (09) قيمة "ت" الخاصة بدلالة الفروق بين المتوسطات بخصوص تقدير الذات على النحو التالي:

جدول (09): يمثل نتائج اختبار"ت" لدلالة الفروق بين المتوسطات عند الهاربات.

حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	الدلالة الإحصائية
126	13.88	3.67	−3.39	دال*

تدل النتائج المُسّجلة في الجدول (09) على وجود دلالة إحصائية عنـــد مســـتوى الدلالة0.01، بحيث قدّرت قيمة ت بـــ3.39−؛ ومعنى ذلك أن الهاربات تتميزن بمستوى منخفض من تقدير الذات.

6. مناقشة النتائج:

نستخلص مما جاء سابقا من نتائج أن عائلات الهاربات تعاني بشكل جلي من وضعيات التفكك الأسري المادي (من طلاق ووفاة الوالدين أو أحدهما أو الهجر) وهو ما يجعل الهاربات تعيش حالة من الحرمان العاطفي والوجداني، مع العلم ان تـــوفر البيئة العائلية الدافئة تعد الفيتامين السيكولوجي الذي **تتغذى منه الهُوية** فـــي لبنـــات بناءها.

كما دلت المعطيات المستخلصة من نتائج الدراسة على أن التفكـــك الأســـري النفسي وما تتميز به عائلات الهاربات من تدهور على مســـتوى الســـلوكات والقـــيم

المرغوب فيها اجتماعيا تؤثر بالسلب على تنمية مشـــاعر تقـــدير الـــذات المرتفـــع والصورة الايجابية للذات التي تعتبر النواة الأساسية **للهُوية**.

وبخصوص المحددات النفسية التي تناولناها على مستوى هذا التحليل هو أن استراتيجيات المواجهة التي تتبناها الأحداث الهاربات في مواجهة المواقف الضاغطة قائمة على الانفعال والتجنب بشكل أكبر مقارنة باســـتراتيجيات الأداء، وتـــدل هـــذه النتيجة على أن الهاربات تميل إلى نسيان مشكلاتها والضغوط التي تعيشـــها وذلـــك بالانشغال في مشاهدة التلفزة أو في النوم مثلا.

ويمكن أن يعود الاستعمال المكثف لمثل هذه الاستراتيجيات (ما عـــدا اســـتراتيجيات المواجهة) إلى:

- مختلف أساليب المعاملة الوالدية التي تخضع لها الهاربات في بيوتهن العائليـــة والتي اتسمت بالعقاب البدني وبالفاضلة وضعف الاتصالات الأسرية؛ وهو الأمر الذي أثّر سلبا على كيفية تعّامل الأحداث الهاربات مع مشكلاتهن.
- تنتمي فئة الهاربات إلى مرحلة المراهقة وغالبا ما يميل المراهقون إلى تبنـــي استراتيجيات الانفعال والتجنب وتفادي المواجهة المباشرة، والتأثر بالأقران الذين يسهمون في **تشكيل هُوية** هؤلاء الهاربات من خلال ما يزودونهم من قيم جديـــدة ومخالفة للمتفق عليه.

وبخصوص متغير تقدير الذات، فقد أظهرت نتائج هذه الدراسة انخفاضه لدى الهاربات، ويمكن تفسير ذلك على أساس أن تقدير الذات يتطـــور حســـب الخبـــرات الحياتية التي تعيشها الهاربات سواء أكانت ايجابية أو سلبية، ويدعم باستمرار بمـــدى تعزيز المحيط له بدءا من الأسرة والناس المُهمين بالنســـبة إلـــيهن ووصـــولا إلـــى التجارب المختلفة خارج السياق الأسري، حيث تدعم كل هذه العوامل عملية **تشـــكيل الهوية** لدى الهاربات التي تشعر بالدونية وبالاختلاف.

وما يمكن تأكيده في هذا السياق، هو أن مشاعر تقدير الذات تُبنى انطلاقا من خبرات الرعاية الأولى التي يخضع لها الأبناء في أوساطهم الأســـرية، وممـــا تمـــده مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى من تعزيزات ايجابية ومؤثرات مختلفة تعمـــل على توليد الأحاسيس الايجابية لدى الأبناء؛ ومعنى ذلك أن خبرات الرعاية الأولـــى تولد لدى الأبناء الإحساس بالتقبل وأن الفشل في تكوينها يُشعرهم بأنهم لا يستطيعون

الثقة فيمن حولهم مما يؤدي إلى التقدير السلبي للذات والاضـــطراب البـــارز علـــى مستوى **بناء الهُوية** خاصة وأن هذه الأخيرة لا تبنى إلا في إطار مفهوم تقدير الذات.

ما يمكننا استخلاصه من خلال هذه المناقشة لنتائج هذه الدراســـة أن الهويـــة لدى الهاربات تشكلت في إطار أسري مضطرب (حالات من التفكك النفسي والمادي وسوء المعاملة الوالدية) ساهم في توليد مشاعر انخفاض تقدير الذات لديهن مما أثّـــر سلبا أيضا على أداءهن في مواجهة الضغوطات، ومن ثمة تشكلت لديهن هوية تميـــل إلى الاضطراب بسبب هذا الكل من التراكمات المزعجة.

7.خاتمة الدراسة:

ليس من قَبيل المصادفة أن تحتل إشكالية الهُوية مكانة رئيســـية ضـــمن العلـــوم الاجتماعية؛ فهي سيرورة مستمرة من التطورات التي تنسج خيوطها وتُبنى دعائمها فـــي السياق الجماعي العلائقي الذي يتشرب منه الفرد والذي يؤثر لا محالة في تكـــوين ذاتـــه وشخصيته. وهذا ما اكتشفنا جزءا منه من خلال المعطيات التي تناولت الهوية وســـلوك الهروب من البيت؛ فالأجواء الأسرية المضطربة التي تتميز بالتفكك الأســـري (المـــادي والنفسي) والتي تفتقر إلى المعاملات الأسرية المناسبة (العقاب وضعف الاتصال) تعمـــل على بلورة هوية تميل إلى أن تُطبع بالهشاشة والضعف؛ وهو الأمر الذي لامسنا عن قرب عند عينة هذه البحث.

وتنعكس التأثيرات السلبية لمثل هذه الظروف الأسرية على مستوى تشكيل الذات؛ فالهاربات لديهم تقدير ذاتي منخفض بسبب ما عايشوه من خبرات مؤلمة ساهمت بدورها في تشكيل هويتهم السلبية، حيث تشعر بعدم الفعالية وبأنها لا تملك ما تفتخر به أمام نفسها وأمام الآخرين، وهنا يتضح البعد الثنائي المزدوج (الشخصـــي والاجتمـــاعي) لمفهـــوم **الهُوية**.

كما يمكن أن نستخلص –بناءا على نتائج هذه الدراسة– فكرة أخرى من انتهـــاج الهاربات لمثل هذا السلوك الذي قد يعكس محاولة البحث عن الهوية المفقودة فـــي إطـــار خارج عن الأسرة وفي ظل الجماعات الثانوية(الأقران).

المراجع باللغة العربية:

–المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التُّراث).

–إبراهيم أبراشي(2003)."الهوية في مشـــروع الدســـتور الفلســـطيني"، **رؤيـــة** مجلـــة منهجيـــة متخصصة، تشرين الثاني، العدد 25.

–سامية جابر محمد (2001). **سوسيولوجيا الانحراف**، دار المعرفة الجامعية.

– عاطف محمد غيث (1984). **قاموس علم الاجتماع**، دار النشر، بيروت.

–علاء الدين كفافي (1999). **الإرشاد والعلاج النفسي الأسري، المنظور النسقي الاتصـــالي**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.

–محمود حسن (1981). **الأسرة ومشكلاتها**، دار النهضة العربية.

–موسى محمود أبو حوسة (2001). **دراسات في علم الاجتماع الأسري**، منشـــورات عمـــادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، الأردن.

المراجع باللغة الأجنبية:

-Adams, G., Gullotta, Th.,Clancy, M.(1985). Homeless adolescents: A descriptive study of similarities and differences between runaways and throwaways. **Adolescence, Vol.XX, No.79,** pp:715-724.

-Brennan, T. (1978). **The social Psychology of Runaways.** Toronto Lexington. Canada.

- Coslin, P.G. (2003). **Les conduites à risque à l'adolescence.** Armand Colin.

-Douville, O .(1994). Errer à l'adolescence ? Adolescence en crise et champ social.**sauv Enf**, No.2, pp: 149-157.

-Endler, N.S., Parker, M.A. (1998). **Inventaire de coping pour situations stessantes-Manuel-** Adaptation française par Rolland, J.P, Les éditions du centre de Psychologie appliquée.

-Justice, B., Duncan, D.F. (1976). Running Away: An epidemic problem of adolescence. **Adolescence**, Vol.XI, No.43, pp: 365-371.

-Kufeldt, K .(1991). Social policy and runaways .**Journal of Health & Social Policy**, Vol.2, No.4, pp: 37-48.

- Lord, G. (1984). **La fugue du foyer familial à l'adolescence.** Bibliothèque Nationale du Québec. Canada.

-Market, J .(1979). Bureaucratization of the alternative youth programs of the sixties: A decade of change. **Group & Organisation Studie**s.Vol.4, No.4, pp: 485-495.

- Mucchielli, R. (1988). **La personnalité de l'enfant.** Les Editions ESF. Paris.

- Robert, M. (1982). **Fondements et étapes de la recherche scientifique en psychologie.** Maloine Editeur.

- Roubier, C. (1984). **Fugues.** Ecole des Parents. Paris. France.